

بسم الله الرحمن الرحيم

أساسيات لبناء شخصية المرأة المسلمة

الموضوع :

كهدة . سعيدة عبد الخالق

مقدمة:

إن المرأة بمنطق الإحصاء والتعداد نصف المجتمع، ولكنها بحكم تأثيرها في زوجها وأولادها ومحيطها أكثر من النصف، ولهذا قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

من لي بتربية النساء؟ فإنها ** في الشرق علة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها ** أعددت شعبا طيب الأعراق [1]

فالمرأة أكثر من نصف المجتمع وتشكل إحدى قواه الفاعلة وتقوم بدور مهم في صياغة حركته، ولهذا لا سبيل إلى إصلاح المجتمع إلا بإصلاح المرأة أولا.

ولذلك سابين في هذه الدراسة بعض الأسس المساهمة في بناء شخصية المرأة المسلمة وإعادة صياغة شخصيتها عمليا وفكريا، وتوجيهها وفق تربية إيمانية متكاملة منبثقة من القرآن الكريم، لكي تساهم بدورها في إصلاح المجتمع وإخراج الأمة من مرحلة القسوة والغثائية، ولن يتأتى لها ذلك إلا بإعادة بناء شخصيتها وفق التصور الإسلامي ومنهجه الرباني من خلال التركيز على الأسس التالية:

1- ترسيخ فعل الإيمان في النفس:

إن تنمية العلاقة بين المرأة وخالقها وترسيخ الإيمان به في نفسها له أثر بالغ على تشكيل شخصية مطمئنة لا تقع فريسة لأي صراعات نفسية، وتواجه كل ما يعترضها من صعوبات

وتحديات، لأن الإيمان مصدر كل سلوك سوي ينبع من النفس الإنسانية" ، وبه يمكن تغيير الإنسان من داخله، وإصلاحه من باطنه ، فالإنسان لا يقاد كما تقاد الأنعام، ولا يصنع كما تصنع الآلات من حديد أو نحاس أو معدن، إنما يحرك من عقله وقلبه، يقنع فيقتنع، ويهدى فيهتدي ، ويرغب ويرهب فيرغب ويرهب. والإيمان هو الذي يحرك الإنسان ويوجهه ويولد فيه طاقات هائلة لم تكن لتظهر بدونه، بل هو ينشئه خلقا جديدا بروح جديدة، وعقل جديد وعزم جديد وفلسفة جديدة " [2] .

والإيمان كذلك لا يعترف بالمراحل والأعمار التي وضعها علماء النفس والتربية واشترطوها لنجاح المجهود التربوي.

إنهم يقررون أن هناك سنا معينة هي سن القبول لتكوين العادات ، واكتساب الصفات وتهذيب الطباع والأخلاق، تلك هي سن الطفولة ، فإذا كبر المرء أو المرأة على صفات خاصة فهيهات أن يحدث فيها تغيير يذكر، فمن شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه. [3]

وينفع الأدب الأحداث في صغر ** وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ** ولن تلين إذا قومتها الخشب

ولكن الإيمان هو الشيء الوحيد الذي تخطى قواعد التربويين والنفسيين، فالإيمان هو العنصر الوحيد الذي يغير النفوس تغييرا تاما وينشئها خلقا جديدا، ولا يقف في سبيل ذلك فتوة الشباب ولا كهولة الكهول، ولا هرم الشيوخ. ولناخذ على هذا أمثلة حية لأشخاص عاشوا في عهدين: عهد الكفر وعهد الإيمان لنرى الفارق.

- سحرة فرعون الذين قص القرآن الكريم علينا قصتهم في سورة الشعراء وطه، كيف تغيرت شخصياتهم؟ كيف انقلبت موازينهم؟ كانت همهم مشدودة إلى المال { فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنَّ نَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } (الشعراء: 41-42) ، وكانت آمالهم منوطة بفرعون { بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ } (الشعراء: 44)

هذا منطقهم قبل أن يؤمنوا، فلما ذاقوا حلاوة الإيمان تحدوا جبروت فرعون حين هددهم بقوله : { قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَأَلْصَلْبَتُّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى } (طه :71) وكان جوابهم على التهديد والوعيد في بساطة ويقين وشموخ واستعلاء { قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } (طه:72-73)

بعد أن كان همهم الدنيا صار همهم الآخرة " لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا "، وبعد أن كانوا يحلفون بعزة فرعون صاروا يقولون " وَالَّذِي فَطَرْنَا " .

تغير الاتجاه، تغير المنطق، تغير السلوك، تغيرت الألفاظ، أصبح القوم غير القوم، وما ذلك إلا من صنع الإيمان.

- ما فعله الإيمان بأمة العرب جميعا: لقد حار مؤرخو الغرب في فهم السر العجيب الذي حول هذه الأمة من رعاة غنم إلى رعاة أمم، ومن قبائل بدواة إلى أمة حضارة وهياً لها سبيل النصر على كسرى وقيصر، وفتح لها باب السيادة على معظم الدنيا القديمة في عشرات من السنين لا عشرات من القرون.

ولكن العارفين لا يندهشون ولا يحارون، فالسر معروف، والسبب معلوم إنه إكسير الإيمان الذي صبه محمد صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه، فنقلهم من حال إلى حال، من وثنية إلى توحيد، ومن جاهلية إلى إسلام.

وحسبنا مثلا على هذا التحول الخطير رجل وامرأة عرف أمرهما في الجاهلية وعرف أمرهما في الإسلام، الرجل هو عمر الذي رووا أنه بلغ في جاهليته من انحراف العقل أن عبد إلهها من الحلوى ثم جاع يوما فأكله، ومن انحراف العاطفة أن وأد ابنة له صغيرة كانت تمسح الغبار عن لحيته وهو يحفر لها مكانها في التراب.

عمر هذا ينتقل من الجاهلية إلى الإسلام، فيتحرر عقله حتى يقطع شجرة الرضوان خشية أن يطول الزمن بالناس فيقدسوها، ويقف أمام الحجر الأسود فيقول: أيها الحجر إني أقبلك وأنا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.

وعمر هذا يبلغ من سمو عاطفته ورقة قلبه وخشيته لله ما ملأ صفحات التاريخ بآيات الرحمة الشاملة للمسلم وغير المسلم، بل للإنسان والحيوان حتى قال: "لو عثرت بغلة بشط الفرات لرأيتني مسؤولا عنها أمام الله، لم لم أسو لها الطريق؟".

أما المرأة فهي الخنساء، المرأة التي فقدت في جاهليتها أخاها لأبيها صخرا فملأت الآفاق عليه بكاء وعويلا، وشعرا حزينا، ترك الزمان لنا منه ديوانا كان الأول من نوعه في شعر المراثي والدموع.

يذكرني طلوع الشمس صخرا ** وأذكره بكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي ** على إخوانهم لقتلت نفسي

وغير ذلك مما قالتها في رثاء أخيها صخر، كان هذا في جاهليتها فلما أسلمت كان لها شأن آخر، وكانت امرأة أخرى، فقد شهدت معركة القادسية ومعها بنوها الأربعة فقدمتهم إلى الميدان أي إلى الموت راضية مطمئنة، بل دافعة محرصة على القتال والثبات في أول الليل

قبيل المعركة. فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوب لا تلين وانقضوا كالصاعقة على أعداء الله حتى استشهدوا واحدا بعد واحد جميعهم، فلما بلغها خبرهم، فلم تلطم خدا ولم تشق جيبا ولكنها استقبلت النبا بإيمان الصابرين وصبر المؤمنين وقالت: " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته".

ما الذي غير عمر القديم وصنع عمر الجديد؟

وما الذي غير خنساء النواح والبكاء إلى خنساء التضحية والفداء؟

إنه صانع المعجزات، إنه الإيمان، إنه المفتاح الفذ لأفعال الحياة الكثيرة. [4] صفوة القول : إن تفعيل الإيمان في حياة المرأة قضية أساسية تخرج الدين من كونه مسألة شخصية إلى اعتباره منهجا متكاملًا يتغلغل في نسيج الممارسات الإنسانية المتعددة.

"ومن أهم الوسائل لترسيخ الإيمان في النفس تنمية الخلق الحسن فيها، وذلك من خلال التمكن من مدلولات الأخلاق وآثارها في النفس والمجتمع، مباشرة الأعمال الصالحة المساعدة على تنمية الأخلاق وتقويمها، مجاهدة النفس وتدريبها على الخلق الحسن، القدوة الحسنة، فهذه كلها وسائل مساعدة لبلوغ الإيمان أغوار النفس والوجدان وإدراك اليقين.

ولاستعادة إنسانية المرأة واستجابتها لعوامل الإحياء، يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا

لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } (الأنفال : 24). [5]

2- التحصن بالعلم والمعرفة والثقافة الإسلامية:

الإسلام دين العلم وأخذه وفهمه وتطبيقه مفتقر إلى العلم، قال الله عز وجل: { فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } (سورة محمد: 19).

وأول كلمة نزلت من القرآن "اقرأ" وفي ذلك إشعار بأن إدراك مضامين الإسلام واستيعاب

فكرته وقيمه ونظامه محتاج إلى القراءة والدراسة والعلم والمعرفة.

وفي الحديث قوله ﷺ للحارث بن مالك الأنصاري: "يا حارث عرفت فالزم" [16] فلزوم الإسلام وتطبيق أحكامه مبني على معرفته والعلم به، وأوسع باب تنفذ منه مخططات الأعداء هو الجهل، كما أنه عائق للمرأة عن كل تطور وما يتبعه من عطاء وإنتاج وعمارة، وبناء لصالح نفسها ومجتمعها، وإنما كانت عرضة للمؤامرات لجهلها بحقوقها ومكانتها ودورها وعدم علمها بما لها وما عليها داخل المجتمع، وأكثر من ذلك فالمرأة الجاهلة لا يقتصر ضرر جهلها على نفسها بل إنها تغذي به أولادها وذويها وترسخه فيهم، ويكون من الصعب الشاق تبديده ومحوه منهم عن طريق التربية الاجتماعية [17]، وقد صدق الشاعر حين قال :

وإذا النساء نشأن في أمية * رضع الرجال جهالة وخمولا [18]

وقد وعى الأستاذ علال الفاسي – رحمه الله- هذه القضية فكان في طليعة من دعا إلى تحرير المرأة من رواسب الجهل ومخلفات الاستعمار ، ونادى إلى استوائها مع الرجل في التربية والتعليم والتثقيف في كثير من كتبه ومقالاته ومحاضراته وخطبه ، قال رحمه الله :
" يجب أن تتمتع المرأة بما يتمتع به الرجل من حقوق ، وأن تقوم بما يقوم به الرجل من واجبات ، ولكي تستطيع ذلك يجب أن يفسح لها المجال ، وتعد للقدرة على أداء ما يطلب منها " [19] .

وإعدادها لتكون قادرة على أداء المطلوب منها في مجتمعها لا يكون إلا بأخذ نصيبها من العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية مثل ما يتاح للرجل ويهيأ له، وقد بث هذه الفكرة والدعوة إليها في شعره رحمه الله ، من ذلك قوله :

ياقوم ماهاتي الجهالة منكم ** إني أرى سيل التعصب مفعما
البنات مثل الطفل إن أصلحتها ** صلحت ، وإلا كنت أنت المجرما
ربوا الفتاة على المعالي إنها ** إن هذبت تلج السييل الأوقوما
البيت عمدته الفتاة فإن تدم ** في الجهل أضحي ذا العماد مههما
فإلى متى تبقى الفتاة بجهلها ** وأخو الفتاة من المساعد معدما
من ذا يربي الطفل تربية لها ** أثر بنفس الطفل مهما علما
إن الفتى إن لم يكن متهدبا ** في حجرها لم يغد شخصا قيما
هبوا لتعليم الفتاة سبيله ** حتى تشارك زوجها المتعلما
وتعين في صرح النهوض بناته ** وتقاوم الداء المبيد المعدما
وتكون مثل السابقات من الألى ** شدن البناء الشامخ المتسنا [10]

فالتحصن بالعلم والمعرفة والتكوين الإسلامي هو الذي يضع لها الأرضية الصلبة التي تستقر عليها شخصيتها على مستوى فكرها وسلوكها وتوجهاتها ، ومن شأن التكوين الديني أيضا أن يكسبها قدرا من التدين تتحصن به وتتميز به في انخراطها الاجتماعي العام وبدونه تكون كالريشة في مهب الريح.

3- التشبع بالقيم الإسلامية:

هذا الأساس مرتبط بالذي قبله ، بل هو ثمرته فلا يستقر في النفس شيء من فقه الإسلام وفهم مضامينه وأحكامه العامة مالم ينبثق منه قدر ضروري من مكارم الإسلام وفضائله وقيمه.

إن المرأة الغربية بل والإنسان الغربي عامة قد بلغ في الرقي الحضاري منزلة لاتضاهى ولكننا نراه - مع ذلك- قد يشقى بها وينتكس بسببها ، وإنما ذلك لأنها حضارة مادية محضة لا تنسجم مع كل مقومات الحقيقة الأدمية الإنسانية ، والغرب بحضارته ورقبه وتمدنه وبلوغه في ذلك الشأو الكبير والمرتقى السامق لا يستطيع أن يخفي أزمته الخانقة التي يعاني منها ويعيشها يوميا(أزمة القيم وأزمة الفراغ الروحي، والخواء القلبي والنفسي).

إن اكتساب قيم الإسلام وترسيخ فضائله ومكارمه وآدابه وأخلاقه في النفس ، يعتبر في ذاته علما بمنظور الإسلام وبميزان الله عزوجل، ويكفي للتدليل على ذلك أن نقراً قوله تعالى: { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ } (الزمر : 9) ، فالقانت آناء الليل الساجد القائم رجاء رحمة ربه وحثرا من عقابه في الآخرة ، هو بفعله هذا وبوصفه هذا عالم ، وعكسه الجاهل { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } ، وإنما يصل إلى رتبة هذا الفعل وهذا الوصف من كان على قدر كبير من التربية القلبية والتشبع بمكارم الإسلام ومثله العليا ، وانعدام ذلك بالمرأة في المرأة من شأنه أن يجعلها عرضة للعواصف وطعمة للعابثين وفريسة للشيطان وحزبه [11].

4- جمالية التحرير واسترداد إنسانية المرأة:

تشير الباحثة والشاعرة المغربية سعاد الناصر (أم سلمى) إلى أنه رغم كثرة الدعوات المستمرة لتحرير المرأة في عصرنا الحديث، ومحاولة إخراجها من تخلفها ومعاناتها، وما حقته من نجاح في مختلف المجالات ، فإن واقع المرأة يكشف عن وضعية مأسخة لها وعن عدم امتلاك ذاتها وانغماسها في عبوديات مختلفة من أبرز مظاهرها: اهتماماتها الهامشية التي لا ترقى إلى مستوى إنسانيتها ورسالتها في الحياة ،ومن أبرز مظاهرها أيضا عبوديتها

لجسدها بالانكباب على تزيينه، وتقديمه في سوق العرض والطلب بشكل مهين للمرأة المعترزة بأوثنها والمدركة لآفاق تحررها. [12]

وتستطرد قائلة "ويؤسفني أن أعلن بأن المرأة رغم تعليمها وتقليدها مناصب عدة، إلا أنها ما زالت ترسف إما في مظاهر التخلف والجهل والخرافة، وتعيش في ظل مفاهيم خاطئة ومبتورة لبعض النصوص الشرعية، من مثل (وقرن في بيوتكن) و"ناقصات عقل ودين" ، وإما تحولت إلى عبوديات أخرى تسربت إليها من الفكر الغربي فأصبحت ترسف في أغلال التغريب والاستلاب والاستغلال، فحررت من تراكمات المفاهيم الخاطئة لتنتقل إلى مفاهيم لا تقل خطورة عنها، هذا بالنسبة للمرأة المتعلمة، أما المرأة الأمية فإن واقعها أمر، ولذلك يمكن أن نضيف إلى ما ذكرناه من عبوديات، عبودية الأمية والفقر والتهميش وغيرها التي تفوق فيه صاحبته المتعلمة.

وبصفة عامة فإن واقع المرأة ينبئ عن خلل ناتج عن غياب فعل التحرر منه، ولن نستطيع ضبط هذا الواقع إلا إذا حررت عقلها واستقام فكرها. لأن تحرر العقل من الخرافة والجمود والتقليد والتبعية يدفعها إلى التأمل والتدبر ، ونبذ أشكال العبوديات، وعدم الانسياق وراءها دون وعي او بصيرة ، كما أن استقامة الفكر واتزانه يدفعها إلى الوعي بحقوقها وواجباتها والأخذ بأحكام الشريعة ، وتطبيقها في حياتها باعتبارها كلا واحدا لا يتجزأ، فتسترد إنسانيتها المتدحرجة بين الأقدام ، وتمارس الحرية بمفهومها الحقيقي والتي تمدها بقوة فاعلة ومحركة لبناء شخصية متوازنة مع ذاتها الفردية والجماعية تمتلك القدرة على تغيير الواقع ، وتحسين وضعيتها المادية والاجتماعية." [13]

ونستطيع أن نقول إنه كلما فهمت المرأة مدى عبوديتها لله وسما مفهوم التوحيد في نفسها، كلما حققت في هذه النفس مفهومها التحرري الصحيح الذي جاءت به الرسالة المحمدية الخاتمة ، إذ نجد الإسلام برسائلته السامية ينبذ كل أشكال العبوديات، ويعتبر المرأة إنساناً أولاً قبل أن يعتبرها امرأة أو أنثى لها جميع حقوق الإنسان اللهم إلا في بعض الخصوصيات الدقيقة الخاصة بالمرأة، فالمرأة إنسان في المجتمع وامرأة فقط في بيتها ومع زوجها، بالإضافة إلى هذا فقد كرمها الإسلام واعتنى بها وبتربيتها منذ الطفولة، ففي الحديث الصحيح ما معناه أن من كانت له بنتان فرباهما وعا لهما فيدخل الجنة بسببهما.

وكرمها وهي زوجة " خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي". [14]

وكرمها أما حينما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبتها لمن جاء يسأله من أحق الناس بصحبتى فقال أمك ثلاث مرات ثم ذكر الأب مرة واحدة.
وكرمها أيضاً لما جعل الجنة تحت أقدام الأمهات.

مجمل القول: إن المرأة ما عرفت التكريم والإجلال والتقدير إلا في ظل هذا الدين القويم، فإن هي أرادت الكرامة والعزة والرفعة فعليها أن تتحرر بالإسلام وتعاليمه السامية أما إذا أرادت الذل والهوان فعليها أن تتحرر من الإسلام والقيم كما يريد لها الذين يتاجرون بهمومها ومآسيها ولا يزيديونها إلا رهقا من خلال ما يزينون لها من مبادئ وسلوكات مستوردة ثم تجريبها في بلاد الغرب فما زادت إلا ذلاً وهواناً على الناس، وشوارع كبريات العواصم الغربية شاهدة على ذلك بحيث تعرض النساء عاريات في واجهات المحلات كما تعرض السلع الهابطة مما يعيدنا إلى عهود العبودية والاسترقاق، ويستغل جسدها ومفاتها لترويج كل أنواع البضائع حتى وإن لم يكن لها علاقة بالمرأة أصلاً.

"إن فهم معنى التحرر، والوعي بقيمة التحرر ينشئ من المرأة شخصية فاعلة معتزة بأصالتها وجورها، متطلعة لإثبات وجودها وتفعيل مشاركتها في مجالات الحياة حسب إمكانياتها وقدراتها فتستطيع فهم رسالتها في الحياة وتأديتها على الوجه الأكمل، وفي الوقت نفسه لا تسمح لأي كان من استعبادها أو التعدي على حقوقها.

نريد للمرأة أن تعيد بناء شخصيتها على أساس متحرر من كل العبوديات المختلفة لأن المرأة في أغلب مجتمعاتنا قد اختزلت اهتماماتها في شكلها فقط أي في جسدها، وفقدت الاهتمام بغير ذلك." [15]

5- تقدير المسؤولية حق قدرها:

لا يخفى أن نجاح الإنسان في مسؤوليته - لاسيما إذا كانت نحو الجماعة - رهين بإدراكه خطورتها ووعيه بحجمها وتقديرها حق قدرها.

لكن إذا حاولنا استقراء واقع الأمة نجد تفلنا مهولا من المسؤولية رجالا ونساء، وما دمنا بصدد الحديث عن المرأة فسوف يتم التركيز على مدى مسؤوليتها عن هذا الواقع.

إن أعدادا هائلة من النساء تدخل في إطار الطاقات الخاملة والعاجزة عن العطاء المنتج، نخرت الغثائية والسلبية والاتباعية فاعليتها فأصبحت أرقاما منسية لا تخرج عن كونها تكثيرا لسواد الصالحين وغيابا أو تغييبا لطاقات المصلحين.

من هنا كانت الدعوة إلى إشعار المرأة بخطورة رسالتها ودورها واستشعار مسؤوليتها تجاه نفسها ومجتمعها وأمتها واتجاه الإنسانية جمعاء، ودعوتها إلى الكف عن تمييع مهمتها وحصرها في اهتمامات هامشية تافهة.

وأول مجال ينبغي الوقوف عنده والتأكيد على خطورته وأهميته في بناء شخصية الأمة بأكملها مجال الأمومة، لأن الأم هي منشئة الأجيال المنشئة الحقيقية ، والأب يشارك فيما بعد وقد يتولى الأمر وحده – أو بصفة رئيسية – بعد ذلك ، ولكن الانطباعات الأولى في نفس الطفل ، الانطباعات التي تندس في حسه وهو وليد وتكون شخصيته فيما بعد يأخذها من أمه أكثر بحكم التصاقه بها التصاقاً حسياً ومعنوياً حتى يملك على الأقل أن يسير ويوسع دائرة المجتمع الذي يعيش فيه ، وصدق الشاعر حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها * * أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا * * بالري أورك أيما إيراك

الأم أستاذ الأساتذة الألى * * شغلت مآثرهم مدى الآفاق[16]

لذا نحتاج إلى تصحيح نظرتنا للأمومة ومهمتها الخطيرة في البناء والتوجيه والتربية واعتبارها على رأس المهمات التي تحتاج إليها الأمة لاستعادة فاعليتها، لأن العالم كله في حاجة إلى لمسة المرأة الأم، وإرجاعها إلى صياغة إنسانية الإنسان حتى يستطيع مواجهة الماديات الطاغية والقسوة والظلم. وما جفت منابع الخير والرحمة من العالم كله إلا بعدما ابتعدت المرأة عن أرضاعها بنيتها واقناعها بتجفيف ثدييها وحجبها عن طفلها بدعوى المحافظة على الجمال، أو بدعوى تركه من أجل العمل، أو من أجل أسباب مختلفة متناسية أن الطفل هو عماد المستقبل ، وأن كل أم إذا ربت أبناءها تربية سليمة واعية مسؤولة تغيرت المجتمعات وارتقت وتضاءلت مظاهر الفساد والانحلال فيها، أليس الإسلام قام وانتشر على

أيدي الأطفال الذين تربوا في حضن الدعوة الأولى ، وكان منهم القادة والجنود الذين فتحوا العالم بالخير وصنعوا أولى بذرات الحضارة الإنسانية الحقّة.

إننا يجب أن نولي الأم عناية فائقة وخاصة، لأنها إما أن تكون بانية الأجيال إذا وعت دورها وخطورته ووجهته الوجهة السليمة، أو هادمة لما تبقى من مقومات وعناصر الحضارة القائمة على الإنسانية الحقّة. [17]

هذه بعض الأساسيات لبناء شخصية المرأة من أجل إعادة صياغة شخصيتها عمليا وفكريا وتوجيهها وفق تربية إيمانية متكاملة حتى تستطيع مواجهة كل التحديات والعوائق التي تعترض سبيلها، وتساهم بدورها في إصلاح المجتمع وإخراج الأمة من مرحلة الغنائية والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الهوامش :

- 1 - ديوان حافظ ابراهيم (ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد الزين و أحمد أمين و ابراهيم الأبياري ط2/1980 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) 1/ 40.
- 2 - في فقه الأولويات د. يوسف القرضاوي ، (مكتبة وهبة مصر ط 4 /1421 /2000) ص180.
- 3 - انظر الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي (مكتبة وهبة مصر) ، ص 289.
- 4 - الإيمان والحياة بتصرف من ص 290 إلى ص293.
- 5 - مقال : من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة ، دة أم سلمى مجلة المحجة المغربية العدد 230 مارس 2005 ، ص13 .

- 6 – أخرج الطبراني في المعجم الكبير ، باب " من اسمه الحارث" (رقم:3291) (تحقيق حمدي السلفي مكتبة العلوم والحكم الموصل ط 2 ، 147/2 (1983/1404) ، وأشار إلى ضعفه بقوله: "إسناد شديد الضعف لأن به موضع انقطاع ، وفيه عبد الله بن لهيعة الحضرمي وهو ضعيف الحديث"
- 7 – انظر مقال : أساسيات لترشيد اسهام المرأة في التنمية الحضارية ، د. محمد الروكي مجلة الفرقان المغربية العدد 36 /1416-1996 ، ص.24
- 8 – الشوقيات أحمد شوقي (دار الكتاب العربي بيروت ط12/1413- 1992) 183./1
- 9 – النقد الذاتي لعلال الفاسي (لجنة نشر تراث زعيم التحرير لعلال الفاسي الرباط ، ط 4 /1979) ص.304.
- 10 – ديوان لعلال الفاسي(تحقيق عبد العلي الودغيري تصحيح عبد الرحيم بن العربي الحريشي دار البوكيلي – المغرب ط 2 /1998) ، ص 115.
- 11 – انظر مقال : أساسيات لترشيد اسهام المرأة في التنمية الحضارية ، ص24-25 .
- 12 – انظر مقال : من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة، ص13.
- 13 – من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة ، ص13.
- 14 – أخرج الترمذي في سننه(تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت) كتاب الدعوات "أبواب المناقب" باب فضل أزواج النبي ﷺ (رقم 3860) ، وقال : " حديث حسن غريب".
- 15 – من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة، ص.13
- 16 – ديوان حافظ ابراهيم ، 40/1 .
- 17 – انظر مقال : من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة، ص13.